بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله المخلصين لاسيما محمد وآله الطيبين الطاهرين[1]

في اليوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة في السنة الثامنة والأربعين بعد المئة، ينقل أنه وُلد الإمام الرضا (ع)، فالشخص الذي يؤمن بالإمامة ويؤمن بالولاية المفروض أن يتساءل ما هو الفرق بين الإمام الرضا (ع) وولاية المأمون؟ كان المأمون وليا فعليا وكان يتولى شؤون الناس وكان يقود الناس إلى جهة معينة، كانت للمأمون رغبات وتصورات فكان يطبقها بالمقدار الذي يستطيع، والمجتمع بشكل عام في ذلك الحين كان يجسد رغبات المأمون فإن الناس على دين ملوكهم

الإنسان هنا يتساءل لو كان الإمام الرضا (ع) مكان المأمون ماذا كان يفعل؟ تارة هكذا يقول: بالتأكيد سيغير الوضع، ولكن ما هو الشيء الذي يغيره؟ عادة يُقال بأن الإمام الرضا (ع) أساسا يختلف عن المأمون، لأن الإمام الرضا (ع) معصوم ومنصوب من الله وكان أفضل الناس في ذلك الحين، كل ذلك صحيح لكن ماذا كان (ع) يصنع؟

القرآن الكريم وسيرة رسول الله (ص) وسيرة الأئمة (ع) –خصوصا سيرة أمير المؤمنين (ع)– تعطي مؤشرات، هذه المؤشرات ماذا نفعل بها؟ المفروض أن نعرف من خلالها أمرهم فهنا نحن ننتظر فرجهم، وإذا لا نعرف أمرهم ماذا ننتظر؟

الأئمة (ع) أمرهم واحد أما غير الأئمة (ع) فإن كل والٍ يختلف عن غيره، مثلا الإمام الباقر (ع) كان يركز على ولاية أمير المؤمنين (ع) كنموذج، وكذلك الإمام الصادق والإمام الكاظم وكذلك الإمام الرضا عليهم السلام، هذا معناه أن أمرهم واحد

لمَ نحن لا نتساءل؟ لأننا لا نتعامل مع الأئمة (ع) بكونهم الطريق إلى الله، فإذن المفروض أننا نغيّر هذا التعامل فحينما نقرأ القرآن الكريم لا نقرأه للتيمّن والتبرّك وطلب الثواب الذي سوف يحصل في الآخرة، المفروض أنه في هذه الدنيا يحصل تغيّر في النفس (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)[2]،(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

---

[1] تحدث السيد محمد علي الباقري (حفظه الله) بهذا الحديث في مسجد البلوش في ١٢ ذو القعدة ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩٢/٥/١٤م، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

[2] (الطور:٢١)

يَرَهُ)[1]، يعني القرآن يعطيني بصيرة يعطيني نوراً، فأعرف على ضوء هذه البصيرة أن أفكاري وتصوراتي خاطئة أم صحيحة، سلوكي هل هو صحيح أم خطأ؟ سلوك المجتمع هل هو صحيح أم لا؟ اتجاه الحياة الآن هل هو صحيح أم خطأ؟ المفروض أن نكون بهذا الشكل

ما أظن أن أحدا من المسلمين –من المؤمنين على أقل التقادير– يستطيع أن ينكر أن الإسلام يدعو إلى تقليل الحاجات، هل الإسلام يدعو إلى تكثير الحاجات فكل ما تملك أكثر أفضل؟ أو كل ما تملك أقل أفضل؟ لا يُنكَر أن الإسلام يدعو إلى تقليل الحاجات، هذا نقرأه في القرآن الكريم ونعرفه كذلك من سيرة رسول الله (ص) ونعرفه من الروايات الكثيرة الموجودة، الروايات ليس من الضروري أن تتحدث بوضوح مثل (طوبى لمن أسلم وكان عيشه كفافا)[2] لا، يعني توجد روايات مختلفة تتحدث عن هذه الأمور عن الدنيا وعن طريقة التعامل مع الدنيا

تارة نسمع من شخص يعظ يتكلم عن أن الدنيا لا تسوى، أظن أني قرأت مقطعا من موعظة لأحد حكام بني أمية كان يعظ، أيها الناس إن الدنيا زائلة، وأن الدنيا لا تسوى شيئا لا تهتموا بها لا تغتروا بها، وهذا طبيعي لأنه على المنبر ماذا يُتوقع أن يقول؟ هل يقول أيها الناس اظلموا؟ أيها الناس لا تفكروا في الموت؟ هو لا يستطيع أن يقول ذلك لأن الذهنية المسلمة على أي حال لا تقبل هذا الشيء، لكن هل هذه المواعظ تُعتبر أشياء جانبية أم أنها تعتبر من ركائز الحياة؟ هذه هي المسألة

إذا رأيت شخصا يتكلم بهذا الشكل كمواعظ لكن في حياته وسلوكه وتصرفاته تراه بأنه منكبّ على الدنيا ويهتم بأصحاب الدنيا ويحترمهم أكثر وبنفسه كذلك يروّج هذا الخط فمعنى ذلك أن هذه المواعظ هو لا يؤمن بها، يقولها للتخفيف وللتلطيف فقط، فالفرق بين الأئمة (ع) وغير الأئمة من المسلمين أن الأئمة (ع) حينما كانوا يعظون فهذه المواعظ كانت تشكل أساس ولايتهم ولم تكن تشكل ازدواجية فيهم، أما الآخرون فقد كانوا يستغلونها للتخفيف عن أنفسهم، مثلا هو خليفة المسلمين ويصعد المنبر فماذا يقول؟! يجب أن يقول شيئا حتى هذا اللّوم يزول أو لكي يحافظ على وضعه

أما مواعظ أمير المؤمنين (ع) التي نجد قسما منها في نهج البلاغة –ولو أنه ليس كل ما في نهج البلاغة ثابت– ماذا تعكس؟ تعكس رغباته (ع) والتي كانت تشكل مؤشرات ولايته، يعني أمير المؤمنين (ع) لو بُسطت يداه ماذا كان يصنع؟ هل كان يطبق هذه الرغبات أم أنه يقول أيها الناس هذه المواعظ أتكلم بها

---

[1] (الزلزلة: ٧)

[2] الكافي (٢ /١٤٠)

على المنبر فقط أنتم لا يهمكم هذا الشيء؟ أمير المؤمنين (ع) في الحياة العملية حينما كان يقول (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[1] كان يُكرم أتقى الناس، هذه البصيرة لا بد أن تحصل لكل واحد منا

حسب فهمي لا يوجد هنالك مسلم –متدين يصلي ويصوم– يرفض كلام شخص يقول بأنه تذكروا الموت، فكّروا في الموت، وأن هذه الدنيا زائلة، فلا يوجد شخص بهذا الشكل يقول لا، هذا غير صحيح، لكن المشكلة الأساسية أن القائل هل هو واقف مع كلامه؟ وكذلك المستمع كيف يتلقاه؟ يعني القائل يتكلم عن الدين يتكلم عن هذه المواعظ كما أنه يقرأ من نهج البلاغة لكن ماذا يفعل بها؟ هذه هي المشكلة، هنالك أناس لا توجد لديهم بصيرة، لا يبصرون لا يتعقلون، قد يكون شخص بكل حياته يروّج ولاية هؤلاء الذين كانوا يسيرون في اتجاه مضاد لاتجاه ولاية أمير المؤمنين (ع)، بطبيعة الحال هؤلاء يتكلمون بأشياء تشبه كلام الأئمة (ع)، هذه المسألة لا بد أن نعرفها فنحن عقلاء فقد زودنا الله تبارك وتعالى بمعرفة أن بعض الوسائل التي من الممكن أن يُستفاد منها للتبصير كذلك هي تُستعمل وتُستغل للتعمية وللإضلال

لا يأتي ببالك بأنه يكفي أن شخصا يتكلم وأنت تسمع فيكون الدين من مسؤولية هذا المتكلم فقط، لا، هذا دينك أنت، أنت حينما تقول (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)[2] لا يعني الدين الذي في هذا الكتاب أو عند هذا المتكلم، لا، (وَلِيَ دِينِ) يعني أنا مسؤول عنه

إذن بعد هذا حينما أقرأ عليك مواعظ ينبغي أن تتساءل –المؤمن لا بد أن يكون على بصيرة– لابد أن تتساءل بأي قصد أنا أقرأ عليك هذه المواعظ، إذا عرفت أني أبني عليها وأطرحها كخط وأن هذه هي الحياة فمعناه أنه أنا أروج ولاية الأئمة (ع) لأن مواعظ الأئمة (ع) كانت تجسّد خطّهم وولايتهم، تجسد رغباتهم، وربما من الممكن أنه نفترض شخصا يقرأ عليكم موعظة للتذكير أو يتذكر ذنبا من ذنوبه يتأثر وتأخذه رقة فيطرح عليكم الموعظة ولكن كموعظة فقط يعني ليس لها ربط بالحياة، إذن لا بد أن تفهم بأن هذا الأسلوب أسلوب غير صحيح، فالمؤمن لا يكون من الهمج الرعاع، عن الإمام الصادق (ع) (نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء)[3]

من مواعظ الإمام الرضا (ع) المنقولة في الكافي: (أن أمير المؤمنين (ع) كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطي

---

[1] (الحجرات: ١٣)

[2] (الكافرون: ٦)

[3] الكافي (١/٣٤)

غيره)[1]، طوبى يعني النعمة، الفضل، في بعض الروايات أن طوبى هي شجرة في الجنة، ليست ثابتة بهذا الشكل وحتى إذا كانت شجرة في الجنة فهي في الحقيقة تجسِّد حالة في هذه الدنيا (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)[2]

فكر في هذه الرواية، أنت تعلم أن الحاجة تستعبد الإنسان فكلما زاد شعور الإنسان بالحاجة إلى شيء ضعفه يزداد، والإنسان كلما قل شعوره بالحاجة فاستغناؤه يزداد، المؤمن هو الذي يحاسب نفسه هو قيّم عليها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ)[3]، كثير من الحاجات الموجودة الآن في الدنيا تُطرح كحاجات حقيقية، وفي الواقع أن العالم الآن يُقيِّم شخصية الإنسان على أساس ما يملك وإذا لا يملك فهو لا يسوى شيئا، يملك أكثر يسوى أكثر، إذا شخص يفكر هل هذه حاجة واقعية أم هي حاجة كاذبة؟ أناس قد صنعوها وأوجدوها لتلبية رغباتهم ومصالحهم، ونحن نشعر بالحاجة لهذه الأشياء وكذلك العالم ككل يشعر بالحاجة إلى هذه الأشياء وهي في الواقع ليست حاجة حقيقية وإنما حاجة كاذبة، لكن من أين أتى هذا الشعور؟

توجد ثلاثة مصادر لشعور الإنسان بالحاجة الكاذبة، هذه الحاجة تحصل نتيجة العلم بالشيء، يعني نحن إذا ما نعلم ولا ندري عن بعض الأشياء فلا نشعر بحاجة إليها، يعني هنالك بعض الأشياء ما كانت موجودة والآن وُجدت، كنت لا تعلم بها يعني ما كنت رأيتها أو سمعت عنها فكان ذهنك فارغا عن الشعور بهذه الحاجة، أليس هذا صحيحا؟

وعلى هذا الأساس لاحظت أنه أموال طائلة تُصرف لإيجاد شعور كاذب في ذهنك عن طريق أذنك أو عن طريق بصرك صحيح أو لا؟ يعني حتى يجعلك ترى هذا الشيء أو يجعلك تسمع عن هذا الشيء، هناك حكيم من الحكماء المعروفين يقول –مضمون كلامه– أنه أنا أستغيث بالله لأني أعاني من قلبي وعيني فكلما تراه عيني قلبي يشتهيه، يقول: أريد أن أصنع خنجرا من الفولاذ فأضرب به عيني ليتحرر قلبي

هذان شيئان، تبصر تشتهي تسمع تشتهي، بعد ذلك تشعر أنه بالتدريج لا يمكن الاستغناء عن هذه الحاجة الكاذبة، بعد ذلك حياتك تسقط من عينك، هذه الرواية (فيما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام: يا علي ثلاثة مجالستهم تميت القلب: مجالسة الأنذال، ومجالسة الأغنياء...)[4]، فمن المجالس التي تميت القلب مجلس الأغنياء الذين يملكون فتقوم عن هذا المجلس وكل حياتك ساقطة من عينك لأنك

---

[1] الكافي (١٦/٢)

[2] (الزلزلة: ٧)

[3] (النساء: ١٣٥)

[4] بحار الأنوار (٢٤٢/١٠٠) نقلا عن الخصال (٨٢/١)

تسمع فيها أشياء وحياة بطريقة خاصة وسفرات فحياتك بعدما كانت جيدة في نظرك فماذا يحصل؟ تتحطم وتهبط، ماذا تغيّر؟ الذي تغيّر هو أنك الآن سمعت أشياء قبل ساعة ما كنت تعرفها، وهكذا، هذا مصدر خطر جدا (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)[1]، المؤمن هو الذي يحاول أن ينتبه لما يرى ويسمع، لا يسمع لأي شيء ولا يبصر أي شيء، فيستمع للشيء الذي ينفعه ويبصر الشيء الذي يتناسب مع مبادئه، فإذا سمع أو رأى سيرفض الشيء الذي لا يتناسب مع مبادئه ويؤثر على قلبه

والشيء الثالث هو التأثر بالناس (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَٰهِ النَّاسِ)[2]، طوبى لمن؟ (ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه)، هذا لا يجعله يصل لقلبه حتى لا ينصبغ بصبغته لأنه لا يريده، (ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه)، ذكْر الله يعني أنا عبد لله ومتجه إليه وألاقيه ويحاسبني، ذكْر الله تعالى بهذا المعنى لا بمعنى أن الله موجود وأي وقت أتورط في قضية أدعو لينجيني! لا، الله الذي خلقني والذي يراقبني والذي حمّلني مسؤولية والذي يراقب كلامي يراقب سمعي يراقب بصري يراقب خواطري ويسجّلها في كتاب (لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا)[3]، (ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطي غيره)، هذا كيف يحصل؟ هذا لا يحصل إلا إذا كنت على بصيرة وعرفت بأن هذا بلاء وأنه سوف يسقط، أما إذا رأيت شيئا يكون مصدر عز فسوف تنجذب له بطبيعة الحال

أكرر ما ذكرته مرة أخرى أنك حينما تسمع موعظة يفترض أن تتساءل هل هي مجرد موعظة للتلطيف تقال؟ هل هذه كموعظة فقط أم أنها كخط؟ فلو تولى الأئمة (ع) الأمور لطبقوها، المفروض أن تتعامل هكذا، كن على بصيرة، أكتفي بهذا

والحمد لله رب العالمين

---

[1] (الإسراء: ٣٦)

[2] (الناس: ١-٣)

[3] (الكهف: ٤٩)